طواه الدهر سراعا..
الدكتور عبدالأمير الورد علم من أعلام النحو

شكيب كاظم

فجر الخميس الثالث عشر من تموز لسنة ٢٠٠٦، فقدت جامعة بغداد والدراسات النحوية واللغوية فيها، علما من اعلام الدرس النحوي في العراق، هو الاستاذ الدكتور عبدالامير محمدامين الورد، ابن العراق ومدينة الكاظمية، التي نهل العلم في مدارسها، وعاش اجواءها المفعمة بالدرس والادب والثقافة والنحو.

لقد اهتم الاستاذ عبدالامير محمدامين الورد في درسه النحوي، بالاخفش الاوسط سعيد بن مسعدة، فخصه بدراسة شاملة وافية شافية، درس كل شاردة وواردة في حياة الاخفش واساتذته وتلامذته، ودرسه النحو والعروض، فأوضح آراءه في القراءات القرآنية، واقفا عند مصنفاته وكتبه، وقد توج هذا الجهد، صابا اياه برسالته لنيل الماجستير، التي تولى الاشراف عليها النحوي الصرفي العراقي الراحل الاستاذ كمال ابراهيم، وقد تولت مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ببيروت ومكتبة دار التربية ببغداد طبع هذه الرسالة العلمية بكتاب عنوانه (منهج الاخفش الاوسط في الدراسة النحوية) صدر بطبعته الاولى عام (١٣٩٦هـ -١٩٧٥)، وقد اخترت نسخة منه، وكنت ارجع اليه للتأكد من معلومة او لاستطلاع رأي في النحو.

من يقرأ هذا السفر النحوي الجليل، يلمس دقة الباحث عبدالامير الورد وشغفه بالبحث، لايكاد يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها، نلمس ذلك، لدى بحثه الطويل عن استاذته، وتلمذة الاخفش الاوسط للخليل بن احمد الفراهيدي، الذي كان موضع سجال ونفي واثبات، سواء لدى المتقدمين ام المعاصرين، فقد نفت هذه التلمذة، تلمذة الاخفش للخليل من الباحثين المعاصرين، الباحثة الجليلة، الدكتورة خديجة عبدالرزاق الحديثي، التي كنت قد اطلعت على عديد مباحثها في النحو، عن سيبويه، وابي حيان النحوي، فضلا على نفي المتقدمين لهذه التلمذة، فهذا ابو الطيب عبدالواحد اللغوي (ت/٣٥١هـ) صاحب كتاب (مراتب النحويين) قال: (كان الاخفش أسن من سيبويه، لكنه لم يأخذ عن الخليل، يؤيده في ذلك ابو سعيد السيراني (ت/٣٦٨هـ) وشايعهما رأيهما ابو علي الفارسي النحوي (ت/٣٧٧هـ) لكن هذا النفي الذي قال به عدد من المتقدمين والمعاصرين، لم يفت في عضده، أو يقعده عن البحث والتنقيب والتنقير في بطون المظان والمصنفات، وصولا الى الحقيقة ضالة المؤمن، ليثبت قولا للاخفش نفسه نص فيه على تلمذته للخليل قال: (حضرت مجلس الخليل، فجاءه سيبويه، فسأله عن مسألة وفسرها له الخليل، فلم افهم ما قالا، فقمت وجلست له في الطريق، فقلت: جعلني الله فداك سألت الخليل عن مسألة فلم افهم ما رد عليك ففهمنيه فأخبرني بها فلم تقع لي ولا فهمتها، فقلت له لاتتوهم اني اسألك إعناتا فاني لم افهمها ولم تقع لي.

ثم يبحث عن آراء من يؤيد هذه التلمذة لينقل لنا ما قاله ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب (ت/٢٩١هـ) في مصنفه (مجالس ثعلب) اذ ينعت الاخفش بـ(صاحب الخليل وسيبويه) ويبسط لنا رأي ابي علي القالي، صاحب (الامالي) (ت/٣٥٦هـ) نقلا عن كتاب (المزهر) للسيوطي (ت/٩٠٢هـ) واثبت التلمذة من المحدثين الاستاذ كمال ابراهيم والنحوي الجليل الدكتور مهدي المخزومي-رحمهما الله.

اذا كيف نحل هذا اللبس في النفي والاثبات، نفي التلمذة على الخليل او للخليل او اثباتها؟ ولا سيما اذا وضعنا في حسباننا ان عروض الخليل وبحوره الخمسة عشر، انما وصلت الينا عن طريق الاخفش، الذي استدرك عليه بحره السادس عشر، والذي سمي بـ(بحر المتدارك)، فتوصل الاستاذ عبدالامير الورد الى رأي وسط، يدل على ألمعية الرجل وعلميته ومن غير التنكب عن جادة الحق والعلم مفاده: ان الاخفش انما كان يحضر حلقات الخليل الدراسية، في علم العروض، ولم يحضرها في العلوم الاخرى، فهو لكثرة اساتذته وشيوخه، انما كان يجد ضالته عندهم، لا عند الخليل في مباحث النحو واللغة، لوجدانه اياهما عند غيره.

لقد اشتهر من الاخافشة ثلاثة هم (الاخفش الاكبر، عبدالحميد بن عبدالمجيد) (ت/١٥٧هـ) والاوسط ابو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي (ت/٢١٥هـ) باختلاف في تحديد سنة وفاته، والاصغر او الصغير، ابو الحسن علي بن سيمان بن الفضل (ت/٣١٥هـ).

الخفش: لغة، ضعف في الابصار، يظهر في النور الشديد، كما جاء في المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وخفش: ضعف، كان بصره ضعيفا خلقة، ضاقت عيناه، كان يبصر في الليل دون النهار، فهو خفش واخفش كما ذكر الاب لويس معلوف اليسوعي في منجده.

جاء في القاموس المحيط للفيروز ابادي في مادة خفش: صغر في العين وضعف في البصر خلقة، أو فساد في الجفون بلا وجع، أو ابصار في الليل دون النهار وفي يوم غيم دون صحو، لكن عبدالامير محمدامين الورد، وهو يدرس الاخفش الاوسط، لم يكتف بتقديم ترجمة للاخافشة الثلاثة المشهورين، بل واصل البحث فذكر احد عشر اخفش مجتمعين، ذكرتهم الكتب وهم: الاخفش البغدادي النحوي (ت/٢١٥هـ) والاخفش الالهاني (مات قبل سنة ٢٥٠هـ) والاخفش النحوي القارئ الدمشقي (ت/٢٩١هـ) والاخفش الاندلسي كان حيا سنة ٣٠٩هـ، والاخفش الموصلي النحوي كان حيا سنة ٣٧٠هـ، والاخفش النحوي الشريف الادريسي كان حيا سنة ٤٥٢هـ، والاخفش الشقري البلنسي (ت/بعد٤٦٠هـ) والاخفش الشريف الفاطمي، فضلا عن اربعة اخافش جاءوا متفرقين هم: الاخفش الكوفي والاخفش الانصاري المدلجي، والاخفش الصنعاني اليمني والاخفش البغدادي، ليرتفع العدد الى خمسة عشر اخفش، وزاد السادس عشر الباحث الدكتور حسين علي محفوظ (ت/٢٠٠٩)، حين زوده بما ترجم له العلامة اغا بزرك الطهراني في كتابه (نقباء البشر) وهو الشيخ عباس الاخفش (ت/١٣٢٩هـ)، وانا اعد الدكتور عبدالامير الورد الاخفش السابع عشر، ولعله آخر الاخافشة لاعتنائه بعلم الاخافشة، ولا سيما الاخفش الاوسط سعيد بن مسعدة المجاشعي.

واذ شغف الورد بالاخفش الاوسط وازال عنه الكثير من الغوامض والمهمات في حياته ومصنفاته، فجلا لنا حقيقة كتابه (معاني القران) الذي صنفت في هذا الباب، وبالعنوان ذاته مصنفات عديدة، منها: كتاب (معاني القرآن) لابي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت/٢٠٧هـ) ومعاني القرآن للكسائي، فدرس كتاب معاني القرآن وحققه، وكان موضوعا لبحثه في الدكتوراه، وكان ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت/١٨٩هـ) راس المدرسة النحوية الكوفية، هو الذي اشار عليه في تاليف كتاب معاني القرآن، بعد تلك المناظرة بينه وبين الكسائي، والتي افحمه فيها في مسائل عديدة، حتى هم بعض تلاميذه بضرب الاخفش، فمنعهم الكسائي من ذلك، اذ ان الاخفش، وقد التقى سيبويه بعد منكسرة ذاك، في تلك المناظرة، المؤامرة وغير النزيهة بينه وبين الكسائي، وهي ما عرفت في الدراسات النحوية واللغوية بـ(المسألة الزنبورية(١)) وكانت تلك المناظرة سببا في ترك سيبويه ارض العراق، نحو بلاده الاحواز، منكسرا منهزما مهموما جراء فشله في المناظرة الزنبورية، فاراد الاخفش الثأر، لسيبويه من الكسائي، فقعد مجلسه ذاك،

وسأله مسائل افحمه فيها جميعا، فاعجب الكسائي بعلمه وادبه ورجاه ان يكون مؤدبا لاولاده، وان يؤلف في معاني القرآن كتابا، وهو الكتاب الذي عثر الاستاذ عبدالامير الورد على نسخة منه في احدى مكتبات مدينة مشهد، فدرسه وحققه ليكون موضوع حصوله على درجة الدكتوراه في علوم النحو.

لقد ضرب الجوع الدكتور عبدالامير الورد سنوات التسعين القاسية من القرن العشرين، سنوات الحصار الظالم، الذي حطم منظومة قيم المجتمع العراقي واحاله ركاما وهباء، فغادر العراق نحو ليبيا، بحثا عن لقمة الخبز، ومنها نحو جامعة صنعاء، ليعود بعد ذلك الى العراق وليموت على ثراه.

حاشية:

(١) المسالة الزنبورية، مسألة نحوية تناظر فيها الكسائي وسيبويه في مجلس الخليفة الرشيد مفادها ايهما اصح قوله: وجدت لدغة العقرب اشد من لسعة الزنبور، فاذا هو هي، او فاذا هو اياها؟! فخذل سيبويه فاغتم وهاجر ومات على الاثر، مما هو مبسوط ومفصل في مظان النحو العربي ومصنفاته.

موقعها على فيس بوك https://www.facebook.com/alutroha2002
موقعها على لنكدان https://www.linkedin.com/home?trk=nav_responsive_tab_home
موقعها على تويتر https://twitter.com/